أساسيات لابد منها في ترجمة ثقافة الطفل
- أنموذج معجم الأسماء المترجم عربي / فرنسي -

عمار ساسي
مختبر اللغة العربية وآدابها
جامعة سعد دحلب البليدة - الجزائر -
dr.saciamar@yahoo.fr

ملخص:
تحرص الورقة على معالجة جزئية ذات أهمية من موضوع ترجمة ثقافة الطفل (التلميذ)، وتتحدد في نقطتين، الأولى نظرية وتخص الأساسيات اللازمة في فعل ترجمة ثقافة الطفل (التلميذ). والثانية تطبيقية، وتقترح معجما اسميا للطفل (التلميذ) يجلي مطلبه ويتجاوب مع رغبته، ويتواءم مع بيئته، ويتوافق مع معتقده، ويتناسق مع منظومته الاجتماعية. يملأه ولا يفرغه، يؤمنه ولا يفزعه يطلقه ولا يقيده يقوده ولا يعقده يزيده ولا ينقصه ويفتح شهيته لما هو أعلى وأغنى. لقد تعمدنا تسجيل هذا الأنموذج بإلحاح وذلك لفقدانه في ساحة تربية الطفل وتعليمه وكذا قلة الاهتمام به بل غياب التفكير فيه من قبل المختصين وهي لعمري إشكالية ظاهرة تمس أساس البنيان. وهذه خطوات البحث:
- مقدمة.
- أساسيات لابد منها في فعل ترجمة ثقافة الطفل (التلميذ).
- أنموذج المعجم الاسمي للطفل (التلميذ).
- الخاتمة وفيها استنتاج ورأي.

كلمات مفتاحية: ثقافة؛ طفل؛ ترجمة؛ معجم؛ أسماء

مقدمة:

إن ترجمة ثقافة الطفل فعل في غاية الأهمية وعلى درجة من الخطورة حيث يطلب لوازم أساسية قبل فعل العملية هي كالآتي:

- ما مقصودنا بمصطلح الطفل ؟ خصوصا في ظل هذه التنوعية ما قبل التحضيري، أو التحضيري أو المدرسي وإن كانت أسنانهم متقاربة وأوعية أفكارهم متشابهة. ففعل الاختيار وعمل التحديد هو دليل إلى الوضوح والبيان.

- لماذا معجم الطفل بالذات ؟ وما مقصودنا بمعجم الطفل ؟ وما مفرداته ؟ وما ذا يختار له منها ؟ وما الذي يجب إبعاده منها ؟

- ما علاقة المعجم بالمحيطين المادي والذهني ؟ ما الغاية المطلوبة من هذا ؟

---- في فلسفة الترجمة لثقافة الطفل.

- الطفل أحادي اللغة: هل الصورة عنده ترجمة للكلمة أم العكس أم هي شيء آخر ؟ والرأي أن الصورة هي نص أصلي والكلمة تسمية لها والكلمة ترجمة للتسمية.

---- الخصائص والمميزات في ترجمة ثقافة الطفل.

---- تصور لمعجم الطفل الاسمي المترجم - عربي/ فرنسي يتبعه استنتاج وملاحظة.

- الطفل مرحلة مبكرة من عمر الإنسان يبدأ فيها كل من العقل والفكر يتحاوران مع فعل اللعب الغالب على السلوك، إذ يثقل ميزان اللعب في مرحلة ما قبل المدرسة ثم يشرع هذا الثقل في الضعف والنقصان كلما ارتقى طورا في حياته.

لقد حدد الراغب الأصفهاني تعريفا بينا للطفل فقال: والطفل الولد مادام ناعما. وقد يقع على الجمع ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾[1] ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾[2]، وقد يجمع على أطفال ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾[3]، أو باعتبار النعومة. وقيل للمرأة طفلة.... أما طفل فإذا أتى طعاما لم يدع إليه.....[4].

وسن مبكر ناعم في حياة هذا الإنسان الصغير يطلب في كل شيء يقابله صفة النعومة الرحيمة في التعامل والمعاملة والمحيط والأسرة والمدرسة والتعليم والترجمة...الخ. وأي سلوك يخرج عن صفة النعومة الرحيمة لا يحقق مقصوده ولا يجني المجتمع منه مردوده الزكي. وقديما قالوا في حكمهم: إنك لا تجني من الشوك العنب[5].

كما أشار خطاب النبوة إلى مثل هذا المعنى حين قال صلى الله عليه وسلم: ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ولم يعطي لعالمنا حقه...[6]. وفي تعميم هذا المعنى في كل شيء قال صلى الله عليه وسلم: إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه[7]. وفي معنى حديث آخر: ما دخل اللين في شيء إلا زانه، وما دخل العنف في شيء إلا شانه. وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه. (ذكره العلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسيني في تهذيب الأخلاق).

وهنا يتقابل مصطلحان جليلان هما: الرفق (اللين) والعنف فالرفق (اللين) خلق قاعدي ممدوح ثابت في التعامل مع الطفل بينما العنف سلوك محضور ومقدوح في قاموس معاملة الطفل أساسا، فضلا عن عدم صلاحيته في كل شيء لذاك قالوا في أمثالهم: إنك لا تجني من الشوك العنب.

--- لماذا معجم الطفل بالذات ؟

أحسب أن الفعل المعجمي هو أول فعل تعليمي وعلمي حصل في الدنيا وذلك حين علم الله آدم الأسماء كلها قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾[8]، ولهذا الفعل دلالات وإشارات وعبر كثيرة، منها أن فعل التعليم يبدأ بالمعجم الاسمي لا الفعلي وبدون معرفة الأسماء لا نعرف محيطنا ولا نصيب بحق لا فعل التعليم ولا فعل التعلم. ومن هنا كان فعل صناعة المعجم الاسمي المترجم فعلا أساسا، يؤسس لبناء

ترجمة ثقافة الطفل فإذا أضفنا إلى هذا غياب معجم الطفل اليوم عن الاهتمام والإنتاج التعليمي والعلمي بات أمره أكثر من ضرورة.

- **أساسيات لابد منها في منهج ترجمة ثقافة الطفل:**

- **الكلمة وطبيعتها الاشتقاقية**:

فالكلمة ذات الطبيعة الاشتقاقية في هذه المرحلة مع هذه العينة هي أنسب وأصلح للطفل منه من الكلمة الجامدة. وقد رأينا بالتجربة أن الكلمات الجامدة المتجاوزة الميزان الثلاثي للمفردة العربية قد يصعب نطقها عند الطفل في هذه المرحلة وإن نطقها فبجهد جهيد وهذا ما يسبب له نفورا منها لثقلها.

- لماذا الطبيعة الاشتقاقية ؟ ببساطة لأنها من الفطرة سهولة ويسرا ومرونة وفصاحة وأصالة. وقد أثبتت الكشوفات العلمية أن الطفل في هذه المرحلة لا تقوى أعضاؤه على نطق بعض الأصوات اللغوية فمراعاة طبيعة الكلمة المفردة من هذه الجوانب أمر معقول، وتخير المفردات الاشتقاقية أمر مفطور.

- تمثل طريقة التدرج في تلقين المتعلم حجرا أساسا في بناء ثقافة الإنسان، يقول العلامة عبد الرحمان بن خلدون: أعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلا قليلا ويلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال وويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن[9].

-- **الكتلة الصوتية في المفردة**: ويلزم فيها السهولة واليسر والانسجام بين الأصوات إذ إن أدنى تنافر بينها سيترتب عليه مزيد من الجهد الذي لا تحبذه فطرة الطفل في هذه المرحلة. فبين المفردتين (بقرة) و(قبر) من الملحوظات ما يلي:

- (بقرة): هي أألف وأعرف وطبيعية ومفرحة وأخف على النطق.
- (قبر): هي غير مألوفة وغير معروفة وغريبة ومخيفة، وأثقل على النطق عند الطفل.

وبغية ضبط قاموس تعليمي تربوي للطفل يحسن في هذا السن الناعم إبعاد كل ما من شأنه صنع العنف والرعب والخوف واليأس والمرض والحزن والظلم والفساد والموت في سلوك الطفل وأخلاقياته لأنها أخلاقيات لا تنسجم ولا تتوافق وبراءة الطفل الناعم. فإذا دخلت قاموس الطفل أفسدت نموه الفطري الطبيعي. كما أتصور الطفل صفحة بيضاء وفطرة ناصعة لا نكتب فيها إلا ما حسن ولطف ولان من القيم المناسبة قال صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد على الفطرة فإما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه..[10]. إننا نؤكد هذا في هذا السن الناعم البريء ولكل سن من الأسنان معجمه الموائم والمناسب.

- وجود المفردة حقيقة:

ويفترض لنجاح العملية التعليمية والترجمية عند الطفل وجود المفردة حقيقة وحضورها في بيئته إذ أن رؤية العين تزيد في الترسيخ والغرس للمعاني في ثقافة الطفل ومن جهة أخرى فإن الغياب في هذا السن يؤثر سلبا في العملية فإن تعذر فالصورة الحقيقية تكون بديلا.

- تواؤمها مع نفسه:

ويحسن في هذه المرحلة من السن اختيار المفردة المريحة لنفسيته غير المزعجة ولا المؤلمة ولا المخيفة ولا المعقدة. فارتياح النفس للمفردة شكلا ومعنى يزيد في الانبساط والاستئناس ويقوي تفاعل المتعلم (الطفل) معها بالإيجاب. فمفردة (قط) هي أريح من (نمر) و(إنسان) أريح من (حيوان) و(دجاجة) أريح من (نعامة) و(فراشة) أحسن من (جرادة) و(عصفور) أريح من (نسر) و(خروف) أريح من (عجل) و(كلب) أريح من (ذئب)... وهكذا

-- من بعض ضوابط المفردة في فعل ترجمة ثقافة الطفل:

- ميزان الكلمة:

ونرشح في هذا العنصر المفردة الثلاثية المشتقة ذلك لأن الثلاثي كما يرى الخليل بن أحمد وأبو الفتح بن جني هو أقرب إلى الطبيعة واليسر والسهولة منه من الرباعي والخماسي والسداسي. لماذا

المشتقة ؟ لأن الاشتقاق طبيعة في اللسان العربي فضلا على أنه طبيعة في الحياة كلها لذلك فكلما جنحت الأشياء إلى طبيعتها كانت أسهل وأيسر وأقرب إلى التقبل والتعامل. وفي هذا السياق لا يحبذ التعامل في هذا السن مع المفردات الدخيلة والغريبة لسببين هما: الأول: أن أغلبية هذه المفردات يتجاوز الثلاثي والثاني: أن أغلبها يفقد الانسجام والخفة النطقية.فإذا أضفنا لها بعدها عن بيئة الطفل كان ذلك أشد وأنكى وعليه فالتعامل مع الأصيل في هذه المرحلة أولى من الدخيل فمفردة (كتاب) أولى من (مدونة) وفعل (كتب) أسهل وأولى من (دون) بتشديد الواو ذلك لأن كلمة (ديوان) هي في الأصل كلمة دخيلة على اللسان العربي.

- في صناعة المعجم المترجم لثقافة الطفل:

ونحرص في ذلك على ما يلي:

- تغليب الأسماء على الأفعال: وذلك أن المنهجية التعليمية الأولى تطلب التعامل مع الأسماء أساسا لأنها تمثل دائرة الثابت. والتعامل مع الثابت في هذه المرحلة أثبت بينما الأفعال تمثل دائرة المتغير.
- في هذه المرحلة يمنع التعامل مع الظواهر اللغوية التالية: الترادف والاشتراك والتضاد والنحت والمجاز.

- في الترادف: يحسن في هذه المرحلة أن يكون لكل معنى مفردة واحدة لأن ذلك يكون أثبت للفهم وأسهل للتوظيف وأيسر للتذكر والتعامل سواء في فعل التعليم أو فعل الترجمة بينما تعدد المفردات للمعنى الواحد في هذه المرحلة هو في الأصل لا يخدم مبدأ الإبانة في اللسان العربي فضلا على أنها تسبب إبهامية صريحة للطفل في عملية التعليم وفي فعل التلقي وإذا فهي من المعيقات. قال العالم اللغوي ثعلب: ما يظن من المترادفات هو من المتباينات[11]

- الاشتراك: ما قلناه في الترادف نقوله في الاشتراك فالأول يخص تعدد الألفاظ، والثاني يخص تعدد المعاني فإذا كان تعدد الألفاظ معيقا للطفل في هذه المرحلة فإن تعدد المعاني هو ذاته يكون معيقا له في عملية التلقي (الترجمة).

- التضاد: وبالطبيعة فإن التضاد يتبع كل من الترادف والاشتراك في الفعل والنتيجة وعليه فلا يحسن التعامل به مع الطفل في هذه المرحلة. ونعني بالتضاد هنا الإتيان بالكلمة التي تحمل المعنى وضده ككلمة (الجون) التي يراد بها اللون الأبيض والأسود في الوقت نفسه.
- النحت: وهو فعل تركيبي، حيث ننحت من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة مركبة من جزأي الكلمتين، أو هو تكوين كلمة مركبة من كلمتين أو أكثر أو حتى من جملة للدلالة على معنى مركب من معاني الألفاظ المتكونة منها[12]. وقد كان معروفا لدى العلماء الأقدمين، واهتموا به لكنهم في الوقت نفسه لم يعطوه المجال لينتشر، أو يصبح معترفا به، لأن الآراء اختلفت بخصوصه ولم يتحدوا في استنتاج واحد.قال بعض من علماء العربية: إن النحت يولد ألفاظا غريبة على السمع معقدة[13]. فإذا كان هذا عند الكبار غريبا معقدا، فإنه عند الصغار أشد غرابة وتعقيدا. وهو عمل ثقيل على الطفل فيه كل سمات الصعوبة والعسر، يجب إبعاده عن معجمه.

- المجاز: وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له وهو فعل ذهني يقابل الحقيقة. وكون الطفل قريبا من الحقيقة منه إلى المجاز فيحسن التعامل معه في دائرة الحقيقة بعيدا عن المجاز، لأنه مستوى لا يرقى إليه فكره ولا يلحق إليه سنه.

-- بساطة معنى الكلمة:

يفترض في مفردة هذه المرحلة ما نسميه بواحدية معناها وبساطته ونعني بالواحدية لزوم المعنى الواحد لأن تعدد المعاني في المفردة الواحدة تعقيد وتصعيد لوتيرة الصعوبة في الفهم لدى الطفل وربما يفضي به إلى الغموض والنفور والابتعاد. ونريد بالبساطة تداول المعنى لدى الطفل في الصورتين الحقيقية والرمزية أي في البيئة وفي الصورة مع اعتياده عليهما، فلربما أفضى به ذلك إلى رسوخها في ذهنه لأن الطفل هو في الحقيقة ابن بيئته لا يبدأ تعليمه إلا من مفردات بيئته. إن بساطة المعنى وسهولته أنما يكسبه الطفل من اعتياده وممارسته للمسمى ذاته، فمثلا كلمة (كيوي) إنما يرى معناها بسيطا من اعتاد والداه شراءها وأكلها، أو بيعها لمن كان أبوه بائع

فواكه وخضروات، أما الطفل الآخر الذي لم يعهد هذا النوع من الفواكه ولم يرها فسيصعب عليه قبض معناها بالسهولة. والحقيقة هي إنما تحصل البساطة والسهولة إذا كان الشيء ومعناه في الذهن سابقا.

وكلمة (حقل) المفتوحة على معنى حقل الزرع والشجر المادي المشهود والملموس، وحقل المعاني والمعارف المجرد وغير المشهود والأحرى في هذه المرحلة إبعاد مثل هذه الكلمات عن مدونة معجم الطفل. لذلك تحاشينا ذكرها في المعجم الاسمي للطفل حتى لا يحدث له خلط فيصعب عليه استقبال الكلمة.

-- توافق المفردة مع البيئة:

ما كان خارجا عن بيئة الطفل لا يحبذ في هذه المرحلة، كمفردة خنزير وأسد وكنيسة وصليب وخمر وديانات وثقافات ومذاهب وأحزاب ومحاكم ومآتم... حيث لا ننصح به في هذا السن لانعدام عهده بها وكذا غيابها عن بيئته الدينية والاجتماعية والثقافية ذلك لأن المولود يولد على الفطرة والفطرة هي البيئة الطبيعية عقلا وعاطفة ودينا وأخلاقا. قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[14].

والطفل في مرحلته هذه هو أقرب إلى الملموسات منه إلى المجردات. والعملية التعليمية في هذه المرحلة يحسن بها أن تتفاعل مع موجودات بيئة الطفل فما هو موجود بين يديه يعلمه وما هو غير موجود يجهله يجنبه لأن العملية في ذاتها تطلب إلى جانب شرط البيئة الموفورة مبدأ الاقتصادية ونريد بها أن يبذل المتكلم جهدا أقل ليحصل على مردود أكثر. ومن هنا أحسب أن كل طفل هو مؤهل لتقبل العملية التعليمية بل إن فرص الأطفال في هذا الشأن هي على حد سواء. كما أحسب أن مصدر ثقافة الطفل هي بيئته. وأشير هنا أن بيئة معتقده تحمل دورا مهما في المنطلق والتأسيس والبلورة لهذه الثقافة بالمفهوم الواسع. ويكمن جليا هذا الدور ويبين في خطاب النبوة في قوله صلى الله عليه وسلم: كل مولود يولد على الفطرة فإما أبواه يهودانه أو

يمجسانه أو ينصرانه[15]. وعليه فلا غرابة إن قلت إن للعامل الديني دورا أساسا في بلورة حياة الإنسان وثقافته ولغته وشخصيته.

كما أن للسن أهمية، لذا يحسن مراعاته، إذ لكل سن من أسنان الإنسان قاموس مفرداته يتلقاها ويتفاعل معها طبيعيا في بيئته وتتماشى وسنه. ولعل أدنى زيادة عليها كأن يلقى مفردات لمرحلة أكبر من سنه قد يحرق الشوط ويعرض العملية التعليمية والترجمية إلى الفساد والفشل. وللعلامة عبد الرحمان بن خلدون في هذا المعنى والموضع إشارات ذات قيمة في كتابه المقدمة. وإذا حاولنا الاجتهاد أكثر نقول: ربما كان أكثر فشل في فعل التعليمية للأجيال أننا وظفنا مفردات غير موائمة للمتعلم بمعنى أنها خارقة وحارقة. وهل عدم النجاح إلا في سوء توظيف المفردة مع العقل أو قل في تجاوز التوظيف المناسب للمتعلم ؟ وهنا تظهر جوهرية الوظيفة وأهميتها في العملية التعليمية والترجمية. وهنا تأتي إشارة النبوة القائلة: (خاطبوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟)[16] وإشارة الدعاء في القرآن الكريم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[17]، وفي الطاقة عموم وشمول ومنها طاقة استيعاب وتوظيف الكم والكيف.

وإنني تأملت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[18] فوجدتها جامعة لمعاني مفتوحة على الزمان والمكان وعلى الحال والمآل. فإلى جانب معنى أطوار الإنسان في خلقته إلى أن استوى إنسانا في أحسن تقويم وغيرها من المعاني التفسيرية التي أضافها المفسرون فإني أرى أنه لما كان الطور يفيد مرحلة من مراحل عمر الإنسان كمرحلة الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة فإن كلمة (أطوارا) هي متضمنة هذه المراحل ومضمنة في الوقت نفسه لمضامينها اللغوية والسلوكية والخلقية والخلقية - الأولى بالضم والثانية بالكسر-. ومن مضامين الأطوار اللغة التي يتواصل الناس بها ومن مضامين اللغة المعجم الاسمي لكل طور من الأطوار ولعل أساس هذه الأطوار التي يجب أن يشد إليها الاهتمام طور الطفولة.

وعليه فمعجم الطفولة يكون أساس معاجم الأطوار كلها ومنه فقوله: (أطوارا) هي حاملة لمعنى معجم الطفل ومعجم الطفل هو قاعدة ثقافته. ويسير في هذا المعنى يؤكده سياق الآية الكريمة بعدها حيث يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقاً﴾[19] فكما في كل سماء مضامينها المميزة فكذلك في كل طور من أطوار الإنسان مضامينه الخاصة. وكما في السموات السبع حركة وسمو وعلو فكذلك في الأطوار حركة وسمو وعلو. فما هو غير موجود في الطور الأول يكمله الموجود في الطور الثاني وهكذا حتى تستوفى الأطوار كلها.

- مراعاة حجم المعجم:

ويحسن فيه أن يكون متوسطا ميسور المادة أي في قدرة الطفل فهما واستيعابا. وهنا يحبذ ترتيب المعجم في أجزاء يحسن الاصطلاح عليها بكراسات المعجم بحيث لا يتجاوز فيها حد العشرات من الكلمات في مراحله الأولى. وفوق هذا يطلب حسن المظهر الخارجي للمعجم والتوافق لونا وصورة مع سن الطفل في هذه المرحلة مع رسم يستميل نفسه ويأخذها.

وفي المعجم يحسن مجانبة الأسماء المفزعة والمخيفة في هذا السن كمفردات الموت والقبر والقتل والذبح والحرب والجوع والعذاب والدمار والزلازل والفيضان والعواصف... الخ لأن أدنى تأثير لها في النفس قد يعطل عملية التلقي كما يطلب الحذر من حرق الأشواط في رسم الكلمات في معجم هذا السن إذ لكل سن معجمه الخاص محدود الكلمات اللازمة والمناسبة. أما الخلط العام للكلمات فيه فمضر وغير مفيد.

ويحسن في المعجم أن يشمل جوانب مهمة من حياة الطفل بحيث نرصد في كل جانب مجموعة أساسية أولى من المفردات المناسبة له وهو في حاجة إليها على أن تثبت الجوانب وتتوسع مفرداتها من سن إلى سن مع الطفل حتى تكتمل في آخر سنه وقد استوى رجلا متكاملا.

- تصور لجوانب المعجم التي تراعى في سن الطفل:

وهي كالآتي: **الدين - الأسرة - المجتمع - المحيط (البيئة) - المحيط النفسي الاجتماعي - الحياة (الصحة) - الاقتصاد - التعليم.** وقد ركزنا على هذه الجوانب المحددة ظنا منا أنها تمثل قاموسه المحيط في سنه.

فصورته عندي هي أشبه بصورة الطفل وقاموسه الغذائي إذ إن أنواعا كثيرة من الأطعمة والأغذية هي صالحة للكبار ومضرة في الوقت نفسه بالصغار، لذا ينصح ألا تعطى لهم فتهلكهم. فكم من لقمات أفسدت أطفالا وألقت بهم إلى التهلكة فكذلك كم من مفردات روعت أطفالا وعقدت مسار حياتهم وجنت عليهم وهم أبرياء وحشرتهم في ساحة الفاشلين لأنها لم تكن في مستوى أسنانهم وبكل بساطة كانت أكبر منهم. فالكلمة الضارة سهم من سهام الشيطان في قلب الطفل ولودة والكلمة الطيبة غيث يحيي موات قلبه ويبعثه جديدا.

ومن جانب آخر يطلعنا الإعلام السينمائي في كثير من الحالات أن هذا الفيلم يحتوي على مقاطع يمنع على الأطفال متابعتها بل أن أشرطة حقيقية لحيوانات تتقاتل بالدماء تمنع على الكبار منعا وإن كان صراعها في دائرة قاعدة الصراع من أجل البقاء. والأكبر من هذا أن خطاب النبوة قد حرم على المسلمين جميعا لعبة التحريش بين الحيوانات، وأنها ليست من أخلاق الدين في شيء. كما لعن من استهدف حيوانا أليفا، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (ألا لعن الله من فعل هذا..)[20]، وذلك في حق من استهدفوا طائرا وجعلوا يرمونه بالنبل. فإذا كان الأمر هذا في الكبار حراما فهو في الصغار أشد حرمة. ومن هنا وجب انتقاء مفردات معجم الطفل انتقاء من حيث إنها لا تحرجه ولا تزعجه ولا ترعبه ولا تفزعه ولا تخل بطبيعة فطرته ولا تحدث فيه جنونا ولا تصنع به مجونا. وللعلم فإن آلة التلقي لدى الطفل هي: لكل ساقطة لاقطة.

نموذج التصور للمعجم

الجانب الديني Côté religieux			
الكلمة	**الترجمة**	**الكلمة**	**الترجمة**
الله	Dieu (ALLAH)	القرآن	Coran
الرسول	Prophète	الصلاة	Prière
العيد	Fête de l'aid	رمضان	Ramadhan
الحج	Pèlerinage (El Hadj)	الشر	Mal
العمرة	El Oumra	الخير	Bien
الجمعة	Vendredi	المولد النبوي	Naissance du prophète
المسجد	Mosquée		

الجانب الوطني Côté national			
الكلمة	**الترجمة**	**الكلمة**	**الترجمة**
الجزائر	Algérie	رئيس البلاد	Président du pays
العلم	Drapeau		

الجانب الأسري Côté familial			
الكلمة	**الترجمة**	**الكلمة**	**الترجمة**
الأب	Père	الخال	Oncle maternel
الأم	Mère	العم	Oncle paternel
الجد	Grand-père	ابن العم	Cousin
الجدة	Grand-mère	العمة	Tante paternelle
الأخ	Frère	الخالة	Tante maternelle
الأخت	Sœur	بنت العم	Cousine

الجانب المجتمعي Côté social			
الكلمة	**الترجمة**	**الكلمة**	**الترجمة**
الصديق	Ami	الحمام	Bain
المعلم	Enseignant	الحلاق	Coiffeur
الطبيب	Médecin	طبيب الأسنان	Dentiste
الفقير	Pauvre	الرجل	Homme
اليتيم	Orphelin	المرأة	Femme
الشرطي	Policier	رضيع	Bébé

المحيط البيئي Côté environnemental			
الكلمة	الترجمة	الكلمة	الترجمة
السماء	Ciel	البعوضة	Moustique
الأرض	Terre	الذبابة	Mouche
الشمس	Soleil	السمكة	Poisson
القمر	Lune	الجبل	Montagne
الماء	Eau	الوادي	Oued
الهواء	Air	البحر	Mer
النار	Feu	الليل	Nuit
المطر	Pluie	النهار	Jour
الشجرة	Arbre	الخريف	Automne
الغابة	Forêt	الشتاء	Hiver
الحيوان	Animal	الربيع	Printemps
الخروف	Mouton	الصيف	été
البقرة	Vache	الرمل	Sable
المعز	Chèvre	الحجرة	Caillou
الكلب	Chien	التراب	Terre
القط	Chat	الحشيش	Herbe
الجمل	Chameau	الزرع	Blé
الحصان	Cheval	البرودة	Froideur
الحمار	Âne	الحرارة	Chaleur
القرد	Singe	النار	Feu
العصفور	Oiseau	الضوء	Lumière
الحمامة	Pigeon	السيارة	Voiture
الدجاجة	Poule	الدراجة	Vélo
الديك	Coq	الحافلة	Autocar
الزهرة	Fleur	الشاحنة	Camion
الوردة	Rose	القطار	Train
الحديقة	Jardin	الطائرة	Avion
النملة	Fourmi	الباخرة	Bateau
النحلة	Abeille	التلفاز	Télévision

Portable	الجوال	Papillon	الفراشة
Appareil photo	المصورة	Sauterelle	الجرادة

المحيط النفسي الاجتماعي :Côté psycho-social			
الترجمة	**الكلمة**	**الترجمة**	**الكلمة**
Cartable	المحفظة	Stade	الملعب
Livre	الكتاب	École	المدرسة
Ardoise	اللوحة	Jouet	اللعبة
Pâte	العجينة	Promenade	الرحلة
Cahier	الكراس	Fête	الحفلة
Protège-cahier	الغلاف	Ballon	الكرة
Gomme	الممحاة	Fatigue	التعب
Taille-crayon	المبراة	Repos	الراحة
Blouse	المئزر	Sommeil	النوم
Couleur	اللون	Maladie	المرض
Blanc	الأبيض	Fièvre	الحمى
Rouge	الأحمر	Diarrhée	الإسهال
Vert	الأخضر	Joie	الفرح
Bleu	الأزرق	Tristesse	الحزن
Noir	الأسود	Colère	الغضب
Marron	البني	Pleurs	البكاء
		Stylo	القلم

الجانب الصحي : Côté sanitaire			
الترجمة	**الكلمة**	**الترجمة**	**الكلمة**
Dattes	التمر	Propreté	النظافة
Riz	الأرز	Propreté du corps	نظافة الجسم
Œuf	البيض	Nourriture	الطعام
Lentilles	العدس	Pain	الخبز
Pois chiches	الحمص	Fruit	الفاكهة
Café	القهوة	Mandarine	اليوسفي
Sucre	السكر	Orange	البرتقال

Sel	الملح	Citron	الليمون
Thé	الشاي	Nèfle	الزعرور
Yaourt	الياغورت	Pomme	التفاح
Fromage	الجبن	Banane	الموز
Olive	الزيتون	Raisin	العنب
Carotte	الجزر	Abricot	المشمش
Pomme de terre	البطاطس	Poire	الأجاص
Tomate	الطماطم	Grenade	الرمان
Salade	السلاطة	Prune	البرقوق
Soupe	الشربة	Pêche	الخوخ
Couscous	الكسكسى	Cerise	الكرز حبة الملوك
Figue	التين	Pastèque	بطيخ أحمر دلاع
Médicament	الدواء	Melon	شمام بطيخ أصفر
Miel	العسل	Viande	اللحم
Beurre	الزبدة	Poisson	السمك
Confiture	المعجون	Poulet	الدجاج
Noix	الجوز	Bonbon	الحلويات
Amande	اللوز	Boisson	المشروب
Lait	الحليب	Jus	العصير

- ملاحظات: هناك كلمات تظهر محرجة في حين هي في غاية الفصاحة، قد آثرنا استبدالها بما هو أحسن وآمن من اللبس مثل كلمة (فرخ) التي تطلق على كتكوت الدجاجة، أي صغيرها في حين نجد المجتمع قد رسم لها مدلولا آخر مغايرا، إذ يراد به ابن الزنا، أي من لا أب له، وتطلق أيضا على الطفل القبيح الذي لا يصدر منه إلا السوء والأذى. وعليه يحسن تسميتها - كتكوت أو فروج تجمع على فراريج وكتاكيت.

ونسجل من هذا التصور ما يلي:

- وظيفية معجم الطفل القائم على الفهم والمعاينة والممارسة.
- ترتيبه وفق جوانب الحياة الممارسة.
- التوافق السني لمفردات المعجم.
- تجنب المفردة التي لا علاقة لها بجانب من جوانب الحياة المذكورة أو التي تتجاوز طور الطفولة.
- كل مفردة في المعجم يجد لها صورتها في الواقع.
- إن أدنى زيادة في مفردات المعجم الخارجة عن هذه الجوانب يحدث للطفل اضطرابا في الاستيعاب ويستهلك طاقة لا فائدة منها، ويوظف جهدا لا طائل منه.

وأحسب أن معجما نموذجيا للطفل هو المعجم الذي استحكمت فيه ثلاثة أمور: المعاينة - الحضور - الممارسة.

تفيد المعاينة - برأيي - المشاهدة عن قرب وهي أيضا رؤية العين للشيء عن قرب. جاء في لسان العرب: والعين والمعاينة النظر وقد عاينته معاينة وعيانا. ورآه عيانا: لم يشك في رؤيته إياه. ورأيت فلانا عيانا، أي مواجهة. قال ابن سيدة: ولقيته عيانا، أي معاينة. وتعينت الشيء، أي أبصرته [21]. ويفيد الحضور: فهم معنى الشيء، حتى كأنه حاضر في ذهن الطفل لقربه منه. وتفيد الممارسة الملامسة والتطبيق الفعلي المستمر. جاء في لسان العرب: المرس والمراس: الممارسة وشدة العلاج. ومرس مرسا فهو مرس ومارس ممارسة ومراسا. ويقال: إنه لمرس بين المرس إذا كان شديد المراس. ويقال: هم على مرس واحد يكسر الراء وذلك إذا استوت أخلاقهم. ورجل مرس: شديد العلاج بين المرس. وفي حديث خيفان: أما بنو فلان فحسك أمراس، جمع مرس بكسر الراء وهو الشديد الذي مارس الأمور وجربها[22].

فكل عنصر من العناصر الثلاثة له دوره الثابت في إنجاح عملية التلقي عند الطفل، فالمعاينة خير من الخبر، لذلك قالوا: لا خبر كالعيان، إذ يجتمع فيها اللفظ والمعنى (الشيء) أي المفردة والصورة

الحقيقية للمعنى. فهذه أساس يزيد في رسوخ اللفظ والمعنى في الذهن رسوخا. وهي طريق مهيأ، موصل إلى الحضور الذي أردنا به الفهم العيني لمعنى الشيء، فإذا أضفنا لهما الممارسة والمعاينة والتطبيق الفعلي الدائم والمستمر زادت رسوخا في الذهن بل صارت فيه كالنقش على الحجر، وقريب من هذا المعنى جاءت إشارة العلامة عبد الرحمان بن خلدون... وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العملية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان..[23] وفي موضع آخر يفصل دور الممارسة والتكرار في تحصيل ملكة الأطفال حيث يقول: والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة، أي صفة راسخة، فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة، ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة كأحدهم. هكذا تصير الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال.[24] وهذه - برأينا - من حكمة التربية والتعليم.

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث وليست بخاتمة نفيد بما يلي: إن لموضوع ترجمة ثقافة الطفل أهمية جليلة، إذ تمثل منطلق مشروع بناء ثقافة الإنسان بل ربما كانت هي الأساس الأول الذي يقوم عليه بناء مشروع ثقافة الإنسان بالمفهوم الواسع والشامل؛ وعليه، بات الاهتمام والعناية والبحث فيه أكثر من ضرورة ملحة. ولعل مفتاح ترجمة ثقافة الطفل يبدأ من صناعة معجمها. والفعل المعجمي هو دوما أول فعل في عمليتي التعليم والترجمة بل هو أول فعل في الدنيا علم الله تعالى به آدم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ

كُلَّهَا﴾[25]. وحتى فعل صناعة معجم ثقافة الطفل لابد أن يقوم على قواعد وشروط نراها أساسية منها:

-- تحديد ميادين الأسماء اللازمة والموائمة لسنه والمؤسسة على قاعدة المعاينة والنظر والممارسة.
-- والمعجم في هذا السن يحسن به أن يجيب على حاجيات الطفل كلها فما يحتاجه في هذا السن في واقعه ويمس مجالاته الأساسية يجده فيه ولا يزيد عليه شيئا وما لا يحتاجه لا حاجة له به.
-- والغاية من كل ذلك هو صناعة معجم وظيفي دقيق ومعدود الأسماء ومحدود الميادين ثم يكبر كلما كبر الطفل.
-- إن ضبط ميادين حياة الطفل هي معالم كبرى تعين في رسم هندسة معجم الطفل كما تعتبر وعاءً حاويا لجميع أسماء المعجم بالتحديد والتدقيق. ويمكن تحديد هذه الميادين بالتقريب في التالي: الدين والوطن والأسرة والمجتمع والمحيط (البيئة) والمناخ النفسي الاجتماعي والصحي والاقتصاد والتعليم والرياضة (الألعاب)...
-- من ضوابط المفردة في معجم ثقافة الطفل: وجودها حقيقة وتواؤمها مع نفسه والمريحة لها غير المزعجة ولا المعقدة ذات الميزان الثلاثي والطبيعة الاشتقاقية السهلة والميسورة والمنسجمة في أصواتها، والبسيطة في معناها، والمتوافقة مع البيئة غير الشاذة عنها. وللبحث صلة. وبالله التوفيق.

هوامش:

1- غافر 67.

2- النور 31.

3- النور 59.

4- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص315.

5- الميداني، مجمع الأمثال.

6- حديث شريف صحيح رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

7- حديث شريف رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها وذكره العلامة عبد الحي بن فجر الدين الحسيني في تهذيب الأخلاق، ص187.

8- البقرة 31.

9- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ج2، ص695، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984.

10- حديث شريف صحيح رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

11- عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن 2007، ص37.

12- النحت قديما وحديثا، الأستاذ كيفورك ميتا جيال، مراسل المكتب الدائم في موسكو، ص162، مجلة اللسان العربي، المجلة الدورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، جامعة الدول العربية، الرباط، المملكة المغربية، المجلد التاسع، الجزء الأول، ذو القعدة 1391هـ، يناير1972.

13- مجلة اللسان العربي، المرجع نفسه، ص162.

14- الروم 30.

15- حديث شريف صحيح رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

16- حديث شريف صحيح.

17- البقرة 286.

18- نوح 14.

19- نوح 15.

20- حديث شريف صحيح ذكره السيد السابق في كتابه فقه السنة.

21- ابن منظور، لسان العرب المحيط، حرف العين، ج1، ص926.

22- م.س، ج3، ص468.

23- عبد الرحمان بن خلدون، م.س، ج2، ص731.

24- المرجع نفسه، ج2، ص722.

25- البقرة 31.

مصادر البحث ومراجعه:

- القرآن الكريم، مصحف المدينة المنورة، رواية حفص عن عاصم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

- إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر.

- الإمام مسلم، صحيح مسلم، دار الفكر.

- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشي، دار الكاتب العربي.

- ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج1، دار لسان العرب، بيروت.

- الميداني، مجمع الأمثال.

- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ج2، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984.

- عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن 2007.

- جعفر دك الباب، أسرار اللسان العربي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1990.

- مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط المملكة المغربية، المجلد التاسع، الجزء الأول، 1972.

- Morchid, Dictionnaire Scolaire-Anglais-Français-Arabe-Edition El Morchid, El Djazairia.